



كيف حسبها الأسد الأب ووожدها (زابطة)؟ من الجهل ماقتل حتى نجيب على هذا السؤال لابد وأن ندخل إلى عقل الرجل ونحاول أن نفهم كيف أجرى حساباته وووجدها (زابطة) أن بإمكانه حكم الخمسة والتسعين بالمئة من الشعب السوري بواسطة الخمسة بالمئة المتبقية، ومنم تكون هذه الخمسة بالمئة، وماذا جعلها تفعل بالأكثرية؟

و قبل أن ندخل بالموضوع لابد أيضاً أن نوضح أن الحساب يمكن أن يجري بعدة طرق: إما بالأرقام على مبدأ واحد زائد واحد يساوي إثنين، وإنما بالقانون على مبدأ العين بالعين والسن بالسن والبادي أظلم، وإنما أخيراً حسب عبر التاريخ على مبدأ فلان فعل كذا فحصل معه كذا. تقول الأرقام (التقديرية أو التقريبية) أن أغلبية السكان في سوريا، وهم من العرب السنة، يشكلون حوالي السبعين بالمئة من التعداد الكلي، في حين تشارك الأقليات المسيحية والعلوية والدرزية والشيعية والكردية بالخمسة والعشرين بالمئة، والخمسة بالمائة الباقي توزع بين الأقليات الأصغر من الأسماعيلية والأرمن والشركس والشيشان والتركمان وغيرهم. فإذا بدأنا بالطائفة العلوية التي أتى منها الأسد الأب، فعلينا أن نلاحظ أن هذه الطائفة ومنذ البداية لم تقف معه بأكملها. والسبب الأول أن العائلة التي ينتمي إليها (عائلة الوحش أصلاً) ليست من الأسر البارزة والمتبينة ضمن الطائفة. ولذلك فحين أراد مصاهرة عائلة (مخلف) المتبينة، رفض طلبه وكان عليه الاستعانة بوسطاء المتبينة على ذلك. أما السبب الثاني فكان غدره بصديقه في السلاح والذين ينتميان لنفس الطائفة: اللواء (صلاح جديد) الذي كان حاكماً سورياً الفعلي آنذاك، حيث ألقاه في السجن إلى أن مات فيه، واللواء (محمد عمران) الذي كان معهما في اللجنة العسكرية الحاكمة في نهاية السبعينيات، والذي دبر اغتياله في لبنان. وكلاهما ينتميان لعائلة أرفع اجتماعياً من عائلته. ولهذا نأى وجهاً الطائفة عنه ترفعاً إن لم نقل اشمئزاً، ولم يجد الأسد الأب من يقف معه منهم سوى الشرائح الدنيا من المنتفعين والانتهاريين والحاقددين والجهلة. وهي أيضاً نفس أنواع الشرائح التي تحلقت حوله ودعمته من بقية الأقليات دون استثناء، وأيضاً من الأكثريات العربية السنوية، فضعف النفس والذلة ليس لهما طائفة بعينها. وهكذا جمع الرجل حوله طائفة من اللصوص وال مجرمين من حثالة كل مكونات المجتمع السوري، وإن كان معظمها من الطائفة العلوية التي استفادت من الأسد أكثر من غيرها. ولكن الأخيرة بذلك، ولكونها طائفته من جهة وأقلية من جهة ثانية، فقد أوقعت نفسها في الفخ الذي رسمه لها بأن رهن مصيرها بمصيره لتسقط بالدفاع عنه إذا دعت الحاجة، وهذا ما نراه اليوم وسأتناول موضوع هذا الفخ بالتفصيل في المقال القادم. أما باقي الشرائح فقد ارتبط مصير أفرادها بمصيره على نطاق الأفراد وليس المجموع

بسبب النسب الضئيلة ممن دعموه منها. بالعودة إلى النسبة والتناسب، فما أراه هنا أن الرجل نجح في استمالة تلك الشرائح الدنيا من كافة الطوائف والتي على استعداد لفعل أي شيء يطلب منها للحفاظ على مكاسبها المادية والسلطوية، وقدرتها بنسبة قريبة من الخمسة بالمئة من مجمل سكان سوريا. وهذا يعيدي إلى السؤال في عنوان المقال: كيف حسبها الرجل ووجد أنه قادر على حكم البلد بواسطة هذه الخمسة بالمئة؟ وكونه وجد هذه المعادلة (زابطة)، فهذا دليل جهله على الأقل بمبادئ علم الحساب. هذا من ناحية ثانية، كان الرجل لاشك يعلم أنه وفي سبيل وصوله إلى الحكم واستمراره به وتوريثه لأبنائه ثم لأحفاده، كان عليه أن ينفذ مجموعة من المهام (القدرة) بدءاً بتسليم الجولان عام 1967 إلى دعم إخراج المقاومة الفلسطينية من الأردن عام 1970 إلى القيام بآخرها من لبنان عام 1982 إلى تأمين سلامه حدوده مع إسرائيل في الجولان. كان الرجل يعرف تماماً أن هذه المهام (القدرة) هي ثمن حصوله وبقائه في الحكم، ولكن كيف حسبها ووجدها (زابطة) واعتقد أن الشعب سيتركه وشأنه وهو ينفذ مسلسل كل تلك الخيانات إلا إذا كان جاهلاً لقانون عقوبات الخيانة العظمى والجرائم ضد الإنسانية؟ وأخيراً، كيف فكر الرجل وحسبها بأنه، وبارتباكه لمجزرة بحجم مجزرة حماة عام 1982، يمكنه الاستمرار بالحكم وتوريثه لأبنائه من بعده وكان شيئاً لم يحدث؟ وهو من المفترض أنه حائز على الشهادة الثانوية ودرس مادة التاريخ التي تذكر أن هذا الشعب الذي يفعل فيه ما يفعل، هو حفيد نفس الشعب الذي حكم العالم في العصر الأموي من حدود الصين إلى الأندلس. وهو نفس الشعب حارب المغول وقهراً وحارب الحملات الصليبية وقهراً وحارب الاحتلال الفرنسي وقهراً. وهو لم يكن مضطراً في الواقع للعودة بالتاريخ إلى تلك الأزمنة (ليزبط) حساباته ويعتبر من سابقيه. فالزعيم السوفيتي (ستالين) الذي يستحق لقب ملك الديكتاتورية المعاصرة في القرن العشرين والذي حكم لأكثر من ربع قرن بقبضة فولادية ويعتبره العديد من حكامنا مثلهم الأعلى، لم يكن قد مضى على موته أيام حتى قام النظام الذي تلاه بحملة إزالة آثاره من تاريخ الاتحاد السوفيتي إلى حد محي صوره من كافة وثائق الأرشيف الرسمية. أما الزعيم الصيني (ماو) الذي يستحق لقب سلطان الديكتاتورية المعاصرة والذي حكم لحوالي الثلاثين عاماً بالحديد والنار، لم يكن قد برد في قبره بعد حين قام النظام الذي تلاه باستدعاء زوجته وأكثر ثلاثة مقربين منه إلى محكمة الشعب وأطلق عليهم اسم (عصابة الأربع). أما صديق الأسد الأب الشخصي، الزعيم الروسي (شاوشيسكي) الذي حكم لحوالي الرابع قرن أيضاً وبنفس الاجرام، فلم يسأل الشعب ولم يسأل زوجته المتسلطة عن ممارساتها خلال فترة الحكم، بل أوقفهما أمام الجدار وأهداهما حفنة من زخات الرصاص. فكيف حسبها الأسد الأب ووجدها (زابطة) أنه قادر مع حثالته الخمسة بالمئة أن ينكل بها الشعب ويقهه إلى الأبد ويورثه لولد الولد، إلا إذا كان جاهلاً بعلم التاريخ إلى جانب جهله بغيره؟ إذاً نرى في النتيجة أن كافة حساباته كانت (غير زابطة) ولا بأي طريقة، وكل ما فعله أنه لم يورث ابنه حكماً، بل ورثه قبلة موقته قابلة للانفجار في وجهه ووجه حثالته في أي لحظة. وفعلاً أنت تلك اللحظة في 15 آذار من العام الماضي، وكان ابن خالة ابنه هو من تبرع وضبط توقيتها بنفسه على ذلك التاريخ حين تفتق ذهنه ووجد أن الحل الأمثل لوقف بوادر الثورة هو ليس الاصلاح ولا الاستماع لمطالب الناس وتلبيتها، بل اقلاع أظافر أطفال درعا! المشكلة هنا أنه عندما يخطئ الشخص بالحسابات في الامتحان ويرسب به، يمكنه أن يعيده وينجح به لاحقاً. وعندم يخطئ بالحسابات في التجارة ويخسر، يمكنه تعويض خسارته في صفقات قادمة. أما عندما يخطئ في أمور كهذه، فهو لا يعرض نفسه وعائلته فقط لخطر الانتقام، وإنما أيضاً الأقلية التي استعادها على الأكثريّة، وأيضاً بقية شرائح الشعب ووجود الوطن بأكمله، فمن الجهل مقاتل. في الخاتمة أوجه كلمة لكل الأفراد الذين مازالوا يحاربون من أجل عائلة الأسد، وأخص بالذكر هؤلاء من الطائفة العلوية التي استفادت من هذا النظام أكثر من غيرها: ألم تدركوا بعد أنكم لاتعنون شيئاً لهذه العائلة، ولو كنتم تعنون لها شيئاً ما كانت لتختبأ ورائكم وتحارب الشعب السوري باسمكم وبسلاحكم. آن لكم أن (تربطوا) حساباتكم وتقرروا مع من سيكون مستقبلكم.

المصادر: